الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم- نماذج مختارة-

The Rhetorical Miracle of the Noble Qur'an – Selected models

د. نعيمة سغيلاني *

جامعة البليدة2 الجزائر، naimaseghilani21@gmail.com

تاريخ الارسال2022/11/15.تاريخ القبول 2023/02/28 تاريخ النشر2023/03/20

ملخص:

لقد نزل القرآن الكريم حجة على رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، وبرهانا على صدق دعوته ، وقد بلغ غاية الفصاحة ونهاية البلاغة بين قوم لا يخلون في جملتهم من شاعر فحل، أو خطيب مصقع، ومن هنا فقد كان القرآن الكريم جامعا لفنون البلاغة ، حاويا لأطراف البيان والفصاحة ،محكما في نظمه ، حتى إنك تحسب ألفاظه لجمالها وروعتها منقادة لمعانيه، ولمعرفة أثره في اللغة العربية ، وللوقوف على مواطن العظمة فيه ، ومواضع الإعجاز فيه سنحاول في هذه الورقة البحثية دراسة أثره في اللغة العربية من خلال نماذج بلاغية مختارة ، ونبرهن أن بقاء اللغة العربية وفاعليتها،وتقدم الأمة العربية مرهون بتمسكها واعتصامها بالقرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: الإعجاز، المعجزة، الإعجاز البياني، التشبيه، الاستعارة، الكناية.

Abstract:

The Holy Quran revealed the argument of the Prophet peace be upon him, and proof of the truth of his call, and has reached the end of eloquence and the end of rhetoric among the people not to be included in their entirety of poet, or rhetorician and hence the Koran was a collector of the arts of rhetoric. In this paper we will try to study its impact in the Arabic language through selected rhetorical models. We demonstrate that the survival of the Arabic language and its effectiveness and progress of the Arab nation depends on its adherence and sit-in to the Holy Quran. Within the first axis (the linguistic and linguistic miracle of the Holy Quran).

Key words: : Miracles, Miracles, Miracles, Histology, metaphor

مقدمة: جاء القرآن الكريم جامعا لفنون البلاغة ، حاويا لأطراف البيان والفصاحة، محكما في نظمه حتى إنك تحسب ألفاظه لجمالها وروعتها منقادة لمعانيه .

وللوقوف على مواطن هذا الجمال ، ومواضع الإعجاز فيه سنحاول في هذه الورقة البحثية تقديم نماذج بلاغية مختارة لمعرفة أثره في اللغة العربية لنبرهن أن بقاء اللغة العربية مرهون بالتمسك والاعتصام بالقرآن الكريم .

* المؤلف المرسل:

فما هو السّر في إعجاز القرآن الكريم ؟ وما هو السّر في بلاغة القرآن حتى أُخرصت الألسنة وانفضت الجموع وبهت الذي كفر ؟ هذا هو محور بحثنا حيث سنسلط الضوء على الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم ، وكيف تحدى القرآن بفصاحته وبلاغته العرب.

وقد تم اعتماد المنهجين الوصفي والتحليلي لمعالجة هذا الإشكال.

من خلال الإشارة إلى بعض النماذج البلاغية الواردة في القرآن الكريم وتحليلها للوصول إلى كيفية تحدي القرآن بفصاحته وبلاغته العرب .

1 تعريف البلاغة ومواطنها

1.1 تعريف البلاغة

البلاغة في اللُّغة مأخوذة من بَلغَ يبلغ من باب نصر ينصر معناه الوصول والانتهاء ،قال ابن منظور في لسان العرب :" بلغ الشيء بلوغا وبلاغاً وصل وانتهى وابلغه هو إبلاغا وصل و انتهى وأبلغه هو إبلاغا وبلغه تبليغا "[1] هي ترسم الصورة التي تكون المعنى العام للبلاغة .فقيل: يكفي من حظ البلاغة أن لا يؤتى السّامع من سوء إفهام النّاطق، ولا يؤتى النّاطق من سوء فهم السّامع، وقيل: البلاغة معرفة الفصل من الوصل ، وقيل : تصحيح الأقسام، واختيار الكلام ، وقيل: حسن الاقتضاب عند البداهة، الغزارة يوم الإطالة، وقيل: وضوح الدّلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة، وقيل: جماع البلاغة البصر بالحجّة، والمعرفة بمواضع الفرصة،ثم وقد فصل قوله فقال: ومن البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة، أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان الإفصاح أوعر طريقة ، وربما كان الإضراب عنها صفحا أبلغ في الدّرك ، وأحق بالظّفر، وقيل: جماع البلاغة التماس حسن الموقع والمعرفة بساعات القول، وقلة الخرق بما التبس من المعاني أو غَمُضَ، وبما شرد عليك من اللّفظ أو تعذر وإكمال هذا القول أن قيل: إن زين ذلك كله، وبهاؤه وحلاوته، وسناؤه، أن تكون الشمائل موزونة ، والألفاظ معدلة، واللهجة نقيّة، فإن جامع ذلك السنُّ والسمت الحسن والجمال وطول الصّمت، فقد تمَّ كلّ التمام ، وكمل كل الكمال، ونرى كل هذه الأقاويل لا تخرج عن كون الكلام مطابقا لمقتضى الحال. [2]

ففي اصطلاح البلاغيين تنقسم إلى بلاغة المتكلم والكلام

أما بلاغة المتكلم فهي ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ، فيبلغ المتكلم في تأدية المعنى حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وإيراد أنواع التشبيه والكناية على وجهها.[3]أما بلاغة الكلام فهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته ، ومقتضى الحال مختلف وهو الذي يقتضي الإطلاق ،والآخر يقتضي التقييد، وهكذا مقام التقديم يباين مقام التأخير ، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي، وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام إلى غير ذلك ...وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب وانحطاطه بعدم مطابقته له، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب.[4] إذن فالبلاغة شاملة للألفاظ والمعاني، فلا بد

أن تكون الكلمات المشتملة في الكلام البليغ فصيحة ويكون الكلام جيدا باعتبار المعنى، كما هو معروف في كنف البلاغة؛ فهي أخص من الفصاحة، كالإنسان من الحيوان، فكل إنسان حيوان، وليس كل حيوان إنسان، وكذلك يقال: كل كلام بليغ فصيح، وليس كل كلام فصيح بليغا [5].

فالفرق بين الفصاحة والبلاغة، أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ، والبلاغة لا تكون إلا وصفا للألفاظ مع المعاني ولذا لا يقال في كلمة واحدة أو أكثر من واحدة التي لا تدل على معنى مع كونها تفضل عن مثلها بليغة ، بل يقال فيها إنها فصيحة.[6]

وعلم البلاغة من العلوم التي لا تُذكر فضائلها ولا تُنسى مناقبها قال أبو هلال العسكري في كتابه:" وقد علم أنَّ الإنسان إذا أغفل علم البلاغة، وأخلَّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف ، وبراعة التركيب، وماشحنه به من الإيجاز البديع ، والاختصار اللطيف ، وضمّنه من الحلاوة ، وجلله من رونق الطلاوة ، مع سهولة كلمة وجزالتها ، وعذوبتها وسلاستها، إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها وتحيرت عقولهم فيها "[7].

وقال الأبشهي :" وقالوا :البلاغة ميدان لا يقطع إلاّ بسوابق الأذهان، ولا يسلك إلا ببصائر البيان"[8].

وبالتالي فالبلاغة تعين على فهم الأسرار والدقائق الكامنة في اللغة، والعالم بالبلاغة يصل إلى المشاعر والأحاسيس التي هي وراء الكلمات والكلام والتي لا ترى بالعين المجردة ولكنها تفهم بدقة النظر وإعمال الفكر ومن هنا فهي ذريعة لكشف مزايا القرآن ومحاسنه فالعالم بدقائق اللغة ورموزها يتطرق إلى الإعجاز القرآني الذي بذل العلماء جهودهم في الكشف عن وجهه وهو يعرف أن القرآن بحر لا شاطئ له.

2.1 تعريف الإعجاز

كلمة إعجاز: مصدر الفعل الماضي الرباعي تقول: أَعْجَزَ، يُعْجِزُ، إعْجَازا، والجذر الثلاثي للكلمة وهو "عَجْزُ"[9].

و"العَجْزُ" عند ابن فارس والراغب الأصفهاني: هو التأخر عن الشيء فهو ضد القدرة والاستطاعة ، ويطلق على كل قصور عن فعل الشيء."[10] و" الإعجاز" مصدر الفعل الرباعي "أعجز" وفيه معنى الفوت والسّبق، ويطلق على الفائز السباق لخصمه، الذي جعل خصمه عاجزا عن إدراكه. ولذلك يقول الخصم المغلوب العاجز : أعجزني فلان إعجازاً. وهذا المعنى الاصطلاحي لمصطلح "الإعجاز"متحقق في مصطلح "إعجاز القرآن ".قال الخليل بن أحمد الفراهيدي :" أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه " [11]

ومعنى " إعجاز القرآن " :هو عدم قدرة الكافرين على معارضة القرآن وقصورهم عن الإتيان بمثله ، رغم توفر ملكتهم البيانية ، وقيام الداعي على ذلك ، وهو استمرار تحديهم، وتقرير عجزهم عن ذلك.

قال العلامة الزركشي:" فلما عجزوا عن أن يأتوا بسورة تشبه القرآن على كثرة الخطباء فيهم والبلغاء ،قال: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88) ﴾[الإسراء:88]. فقد ثبت أنه تحداهم به وأنهم لم يأتوا بمثله لعجزهم عنه لأنهم لو قدروا على ذلك لفعلوا ولما عدلوا

إلى العناد تارة والاستهزاء أخرى فتارة قالوا سحرا وتارة قالوا شعرا وتارة قالوا أساطير الأولين كل ذلك من التحير والانقطاع "[12]

فالقرآن الكريم هو الكلام المعجز الذي بقي إعجازه إلى الأبد فلم يستطع أحد من أصحاب العلم أن يأتي بمثله ولا يستطيع أحد الآن ، ولن يستطيع في المستقبل أحد من الناس لقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾[البقرة:24].

2 تعريف المعجزة

المعجزة في الاصطلاح: هي الأمر الخارق للعادة، السالم من المعارضة يظهره الله تعالى على يد النبي تصديقا له في دعوى النبوة[13] ، ويشترط في المعجزة:

أن تكون فعلا من الأفعال المخالفة لما تعوّد عليه الناس وألفوه. أن يظهره الله تعالى على يد من يدعي النبوّة. أن يكون الغرض من ظهور هذا الفعل الخارق هو تحدي المنكرين سواء صرح النبي صاحب المعجزة بالتحدي أو كان التحدي مفهوما من قرائن الأحوال.

أن تجيء المعجزة موافقة ومصدقة لدعوة النبوة فإذا حدثت المعجزة وكذبت النبي في دعواه فلا يكون النبي صادقا، كما لو نطق الجماد مثلا بتكذيب صاحب المعجزة.

أن يعجز المنكرون عن الإتيان بمعجزة مماثلة لمعجزة النّبي أي يعجزون عن معارضته.

قال العلامة الشعراوي رحمه الله :" ولكن معجزة النبي صلى الله عليه وسلم معجزة عقلية باقية خالدة يستطيع كل واحد أن يقول محمد رسول الله ... وهذه معجزة وهي القرآن ...شيء آخر إذا نظرنا إلى المعجزات السابقة وجدنا هذه المعجزات فعلا من أفعال الله ... وفعل الله من الممكن أن ينتهي بعد أن يفعله الله ، البحر انشق لموسى ثم عاد إلى طبيعته... النار لم تحرق إبراهيم ولكنها عادت إلى خاصيتها بعد ذلك ، ولكن معجزة النبي صلى الله عليه وسلم صفة من صفات الله وهي كلامه ... والفعل باق ببقاء الفاعل له... والصفة باقية ببقاء الفاعل نفسه "[14].

وقد اختلف العلماء في تعليل عجزهم عن ذلك وتباينت أقوالهم في الوجوه التي جعلت القرآن معجزا إلى يوم القيامة منها:

1- القول بالصرفة: ومعناه: أن إعجاز القرآن كان بصرف الله تعالى أن يأتوا بمثله ، وذهب إلى هذا القول كثير من المعتزلة، وبعض المفسرين والعلماء من غير المعتزلة إلاّ أن الرد على هذه الفكرة ميسور ، لأن الإعجاز لو كان بالصرفة فمعناه أنّ القرآن بذاته غير معجز والإعجاز قائم على قدرة الله تعالى ، وهذا مالا تدل عليه آيات التحدي ، قال العلامة ابن عاشور: " فعجز جميع المتحدين عن الإتيان بمثل القرآن أمر متواتر بتواتر هذه الآيات بينهم وسكوتهم عن المعارضة مع توافر دواعيهم عليها "[15].

2- ومنها أن من وجوه كون القرآن معجزا هو أن وجه الأعجاز راجع إلى التأليف الخاص به وراجع إلى حسن الكلمات وحسن التركيب بعضها مع بعض وحسن المعاني الموجودة في مركباتها.

3- ومنها أن الإعجاز في ما فيه من الأخبار عن الغيبيات ولم يكن ذلك من شأن العرب كقوله تعالى: ﴿**سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (45)** ﴾[القمر:45]

4- ومنها الإعجاز في ما تضمن من إخباره عن قصص الأولين وسائر المتقدمين حكاية من شاهدها وحضرها كقوله تعالى: ﴿**تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (49)** ﴾[هود د: 49].وهناك من رد على هذا القول بأن الآيات القرآنية التي تتضمن الغيب وأخبار المتقدمين خارجة عن حد الإعجاز اللّهم إلا أن يقال إن كلام الله تعالى مثل الوحدة الواحدة فإذا ثبت الإعجاز في بعضها ثبت في الكل.

5- ومنها أن الإعجاز في إخباره عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل كقوله تعالى : ﴿**إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (122)** ﴾[آل عمران:122].ففي هذه الآية أخبر الله تعالى عن حالة الطائفتين اللتين أرادتا الرجوع عن القتال.

6- ومنها أن التحدي إنما وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه ووجه إعجازه أن الله أحاط بكل شيء علما وأحاط بالكلام كله علما فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى ويتبين المعنى بعد المعنى ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره والبشر يعتريهم الجهل والنسيان والذهول ومعلوم بالضرورة أن أحدا من البشر لا يحيط بذلك وبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة وبهذا النطق يبطل قول من قال: إن العرب كان في قدرتها الإتيان بمثله فلما جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم صرفوا عن ذلك وعجزوا عنه.

7- ومنها أن وجه الإعجاز الفصاحة وغرابة الأسلوب والسّلامة من جميع العيوب وغير ذلك مقترنا بالتحدي.

8- ومنها أن الإعجاز في ما فيه من النظم والتأليف والتصريف وأنه خارج عن جميع وجوه النظم المعروفة في كلام العرب ومباين لأساليب خطاباتهم فليس هو بالشعر ولابالنثر المعتاد لديهم.

9- ومنها أنه شيء يدرك بالحس والذوق ولا يمكن التعبير عنه وهو ما ذهب إليه السكاكي في مفتاح العلوم حيث قال:" واعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة ومدرك الإعجاز عندي هو ليس إلا الذوق ، وطريق اكتساب الذوق طول خدمة هذين العلمين، نعم للبلاغة وجوه ملتئمة ربما تيسرت إماطة اللثام عنها لتجلي عليك أما نفس وجه الإعجاز فلا" [16]

10- ومنها أن الإعجاز القرآني يمكن في تأثيره في النفوس والقلوب وأن السامع يجد من اللذة والحلاوة والروعة والمهابة عند سماعه ما لا يجده في الكلام غيره منظوما كان أو منثورا وقد بين الله تعالى هذه الحقيقة في قوله:" ﴿ **لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (21)** ﴾ [الحشر:21].وقال أيضا: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (23)**﴾[الزمر:23].

11- وأما الذي عليه جمهرة أهل العلم والتحقيق فإن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد على انفراده فإنه جمع كله فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع بل وغير ذلك مما لم يسبق فمنها الروعة التي في قلوب السّامعين وأسماعهم سواء المقرين والجاحدين ثم إن سامعه إن كان مؤمنا به تداخله روعة في أول سماعه وخشية ثم لا يزال يجد في قلبه هشاشة إليه ومحبة له وإن كان جاحدا وجد فيه مع تلك الروعة نفورا وعيا لانقطاع مادته بحسن سمعه على أن هذه الوجوه قد علمت بتتبع العلماء وتتبعهم يتوقف على علمهم المحدود فهناك وجوه كثيرة لم يتوجه إليها أحد فهذه دلالات على الشيء المحسوس المذوق الذي لا يستطيع أحد أن يبينه على وجه التحقيق.[17] وهذا ما أشار إليه العلامة الزركشي بقوله: "اعلم أن معرفة الفصيح والأفصح والرشيق والأرشق والجلي والأجلى والعلي والأعلى من الكلام أمر لا يدرك إلاّ بالذوق ولا يمكن إقامة الدلالة المنطقية عليه وهو بمنزلة جاريتين إحداهما بيضاء مشربة حمرة ودقيقة الشفتين نقية الشعر كحلاء العين أسيلة الخد دقيقة الأنف معتدلة القامة والأخرى دونها في هذه الصفات والمحاسن لكنها أحلى في العيون والقلوب منها وأليق وأملح ولا يدري لأي سبب كان ذلك لكنه بالذوق والمشاهدة يعرف ولا يمكن تعليله وهذا الكلام نعم يبقى الفرق بين الوصفين أن حسن الوجوه وملاحتها وتفضيل بعضها يدركه كل من له عين صحيحة وأما الكلام فلا يعرفه إلا بالذوق وليس كل من اشتغل بالنحو أو اللغة أو بالفقه كان من أهل الذوق وممن يصلح لانتقاد الكلام وإنما أهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان وأرضوا أنفسهم بالرسائل والخطب والكتابة والشعر وصارت لهم بذلك دربة وملكة تامة فإلى أولئك ينبغي أن يرجع في معرفة الكلام وفضل بعضه على بعض.[18]

وخلص الكلام من هذا كله أن القرآن إنما صار معجزا لأنه بلغ في درجات البلاغة والفصاحة مبلغا تعجز قدرة البلغاء العرب عن الإتيان بمثله. وهذا ما يؤكده الثعالبي بقوله: " من أراد أن يعرف جوامع الكلم وينتبه

على فضل الإعجاز والاختصار ويحيط ببلاغة الإيماء ويفطن لكفاية الإيجاز فليتدبر القرآن وليتأمل علوه على سائر الكلام فمن ذلك قوله عز ذكره: ﴿ **إن الذين قالوا ربنا ثم استقاموا** ﴾ استقاموا كلمة واحدة تفصح عن الطاعات كلها في الائتمار والانزجار وذلك لو أن إنسانا أطاع الله سبحانه مائة سنة ثم سرق حبة واحدة لخرج بسرقتها عن حد الاستقامة "[19].

3 كتب الإعجاز

لقد ألفت عدة كتب في إعجاز نظم القرآن ، ولعلها أقدمها كتاب الجاحظ عنوانه " نظم القرآن" ذكره في كتاب الحيوان[20].

ومنها كتاب لعبد الله بن أبي داود السجستاني (ت 316هـ) ، وكتاب لأبي زيد البلخي(ت 322هـ).

وكتاب لأبي بكر بن الإخشيد المعتزلي (ت326هـ) ،والكتب الثلاثة عنوانها " نظم القرآن " ذكر ذلك سيد أحمد صقر في مقدمة تحقيقه كتاب الباقلاني " إعجاز القرآن" [21].

وفي القرن الرابع نجد رسالة للرماني في " إعجاز القرآن" إلى أنها تعتبر المرحلة الثالثة بعد الجاحظ من مراحل القول بأن الإعجاز أسلوبي بياني، وقد أشار ابن سنان الخفاجي في سر الفصاحة والسيوطي في الإتقان[22].

إن رسالة الرماني هذه تتميز بأنها نقلت مباحث الإعجاز خطوة إلى الأمام بتخليص الرماني لكل ما قيل قبله من آراء في رسالته هذه.

كما سار على هذا الطريق الخطابي(ت 388هـ) في كتاب له عن إعجاز القرآن من جهته بلاغته واجتهد في تفصيل وجوه الإعجاز من جهة البلاغة.

وفي القرن الخامس الهجري مع اتساع مجالات علم الكلام وتفشي ظاهرة الزندقة بدأت البحوث في الإعجاز القرآني تتخذ مسارا أكثر تطورا ، وساعد على هذا التطور الازدهار اللغوي والأدبي في تلك الحقبة، ويُعدُّ كتاب الباقلاني " إعجاز القرآن " من أفضل نتاج هذا القرن في مجال الإعجاز إلى جانب كتاب عبد القاهر الجرجاني " دلائل الإعجاز في علم المعاني " الذي وضع نظرية النظم وضعا متكاملا، وإلى هذين الكتابين يرجع الفضل في تطور علوم البلاغة بعد ذلك.

وهكذا بدأت بحوث الإعجاز تتميز عن بحوث البلاغة وعلم الكلام ، وفتح عبد القاهر الجرجاني والباقلاني باب تلك البحوث لمن جاء بعدهما.

قال الباقلاني :" ذكر بعض أهل الأدب والكلام : أن البلاغة على عشرة أقسام : الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة ، والتّلاؤم ،والفواصل، والتّجانس، والتّصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان".[23]

وحسبي في هذا المقال أن أتطرق إلى بعض هذه الأقسام لأبين الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم وسأبدأ بقسم التشبيه.

4 نماذج مختارة من روائع التشبيه والاستعارة والكناية في القرآن الكريم

1.4 التشبيه في القرآن الكريم:

قال عبد القاهر الجرجاني:" واعلم أنّ مما اتفق العقلاء عليه ، أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبّهة ، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشبَّ من نارها ، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب إليها ، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا ، وقسر الطباع على أن تعطيها محبّة وشغفا.[24]

فالتشبيه من أروع أنواع البلاغة وأكثرها استعمالا عند العرب فهو يرفع الأستار عن وجوه الحقائق ويقدّم المتخيل في معرض اليقين وإذا كانت المعاني معقولة محضة وهي لا تأتي في العقول تكون مستبعدة فبالتشبيه هي تأتي إلى منصّة الشهود وكأنها مبصرة أمامك فيزال الوهم.[25].

قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (24)**﴾[يونس:24].

قال الرماني:" وهذا بيان قد أخرج ما لم تجر به عادة إلى ما قد جرت به العادة ، وقد اجتمع المشبه والمشبه به في الزينة والبهجة ، ثم الهلاك بعده، وفي ذلك العبرة لمن اعتبر والموعظة لمن تفكر في أن كل فان حقير وإن طالت مدته، وصغير وإن كبر قدره[26] " .

شبّه القرآن حال الدنيا في سرعة انقضائها وانقراض نعيمها، واغترار الناس بها ، بحال ماء نزل من السّماء وأنبت أنواع العشب ، وزين بزخرفها وجه الأرض كالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة، حتى إذا طمع أهلها فيها ، وظنوا أنها مسلمة من الجوائح أتاها بأس الله فجأة فكأنها لم تكن بالأمس.

تأمل بعقلك وخيالك وذوقك نظم الآية الكريمة ، إنها مكونة من عشر جمل لو سقط منها شيء اختل التشبيه وانظر إلى هذه الجمل تجد كل جملة تعبر عن مشهد من مشاهد الحياة الدنيا ، وقد رتبت ترتيبا عجيبا كأن كل جملة منها ولدت التي تليها ، وقد تكونت كل جملة من طائفة من الكلمات تألفت بأصواتها وظلالها وأجراسها فعبّرت أصدق تعبير عن المشهد الذي استقلت به، بحيث إذا أخرت أو قدمت أو غيرت كلمة بأخرى أو حرفا بآخر اختل المعنى ، وتبعثرت مشاهد الصورة التشبيهية .[27]

قال تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (18)** ﴾[إبراهيم :18]

قال الرماني: "فهذا بيان قد أخرج مالا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة، فقد اجتمع المشبه والمشبه به في الهلاك وعدم الانتفاع والعجز عن الاستدراك لما فات؛ وفي ذلك الحسرة العظيمة، والموعظة البليغة".[28]

شبه أعمال الذين كفروا في ضياعها، وذهابها إلى غير عودة بهيئة رماد تذروه الرياح وتذهب به بدرا إلى حيث لا يتجمع أبدا.

تأمل نظم الآية تجد كل كلمة قارة في مكانها ، مطمئنة في موضعها لاتشكو قلقا ولا اضطرابا ، معبرة بدقة وصدق عن معناها، وتأمل تناسق الكلمات وتألقها ، وترتيب الجمل وتعانقها، ومخارج الحروف وأصواتها، وإيحاءات الألفاظ وإشاراتها تجد نظما عجيبا لا يقدر عليه إلا خالق السموات والأرض.

تأمل كلمة " رماد " توحي بخفة الوزن، وتأمل كلمة " اشتدت " فإنها توحي بسرعة الرياح ، وتأمل كلمة " عاصف" فإنها توحي بالعنف، وانظر كيف أبرز لك هذا التشبيه ببديع نظمه الصورة حية متحركة كأنك تراها وتلمسها.

وصف الله تعالى شدة نار جهنم فقال: ﴿**إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (32)**﴾[المرسلات:32]

هنا وصفت شدة النّار بالقصر العظيم وكل من الشرر والحصن مفرد يدرك بحاسة البصر وقد ذكرت أداة التشبيه فهو من التشبيه المفرد الحسي غير البليغ، ووجه الشبه هو العظم.[29].

ومن المزايا البلاغية في هذا الأسلوب هي:

شبهت شرر النَّار وهي تكون أشياء صغيرة عادة للنار العادية فإذا صارت هذه الأشياء الصغيرة إلى حد يصل إلى عظم القصر فما شأن تلك النّار لأن عظم الشرر يستلزم شدة النّار.

بين الله تعالى شدة العذاب المرسل إلى قوم عاد فشبه صرعى الريح الباردة العنيفة بأعجاز نخل خاوية فيقول: ﴿ **وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (6) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (7) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (8)** ﴾ [الحاقة:8]

ففي هذه الآية بين الله عاقبة قوم عاد وكانوا عاصين لأمر الله تعالى فأهلكهم الله بريح باردة عنيفة متمردة سلطها عليهم سبع ليال وثمانية أيام متتابعة فأهلكت القوم في مهاب الريح موتى وصرعتهم على الأرض كأنهم أصول النخل خاوية أجوافها.

شبه الله تعالى موتى قوم عاد بأعجاز النخل الخاوية وكل من المشبه والمشبه به مفرد ويدرك بحاسة البصر وقد ذكرت أداة التشبيه فهو من قبيل التشبيه المفرد الحسي غير البليغ ، ووجه الشبه هو خلاء أجواف كل من الموتى والأعجاز فروى أن الريح كانت تدخل من أفواههم فتخرج ما في أجوافهم من الحشو من أدبارهم فصاروا كأعجاز النخل الخاوية.[30]

ومن المزايا البلاغية في هذا الأسلوب ما يأتي:

في تشبيه قوم عاد بالنخل إشارة إلى أن هؤلاء القوم قد وصلوا إلى القوة وطول قامتهم إلى منتهاه ؛كما أن النخل تكون طويلة وقوية فهكذا هؤلاء الناس كانوا أقوياء طوال، ثم تقييد النخل بوصف الخاوية إشارة إلى أن هؤلاء الناس صاروا في حال لم يبق لهم العظم ولا القوة.

وبالتالي فهذا يذهب بنا إلى الحقيقة أنّ الله تعالى هو خالق الكون وكل العباد ضعفاء لا قوي إلاّ هو والقوة قوته والملك ملكه وكل شيء يجري بأمره والأجرام القوية قوية بأمره فإذا قضى أن يرد تلك القوة؛ فإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون .ثم نرى أنه كيف شبه الله تعالى خلاء أجوافهم بخلاء النخل وأن كل واحد منهما شيء لايعبأ به لأن منافع الناس قد انقطعت منهما فكما أن النخل كانت محلا لرجاء الناس لاستخدامهم في ضروراتهم من إقامة السقف للبيوت وغيرها ولكنها إذا خوت انقطعت منها المنافع التي كانت ترجى منها فهكذا هؤلاء القوم كانوا محلا لرجاء الناس ولكن إذا صاروا بهذا الحال لم يبقوا محلا للنفع والخوف فصاروا كالشيء الذي لايعبأ به.[31]

ولا يخفى ما في هذا الأسلوب من تقبيح المشبه بتشبيهه بشيء يعد قبيحا ومستنفرا كي يرجع الناس إلى الله تعالى بنفورهم من هذا المنظر المهيب ويتقوا من الوقوع في مثل أسبابها.[32]

وفي آية أخرى يصف الله تعالى شدة هول القيامة فيقول: ﴿**يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (4) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (5)** ﴾ [القارعة:4-5].

في هاتين الآيتين بيان هول من أهوال يوم القيامة فمن شدة هذا اليوم يكون الناس منقادين للداعي إلى النار فيتهافتون كتهافت الفراش إلى النار وتكون الجبال في تطايرها وخفة تناثرها كالعهن المنفوش.

في هاتين الآيتين تشبيهان : الأول: تشبيه الناس بالفراش المبثوث والمشبه مفرد مطلق ، والمشبه به مفرد مقيد وكلاهما حسيان ووجه الشبه فيه الكثرة والانتشار والضعف والهوان فكما أن الفراش تكون في الكثرة وهي تكون منتشرة هنا وهناك وهي في الضعف أن يضرب بها المثل ، فكذلك يكون الناس في ذلك اليوم خارجين من قبورهم مجتمعين للحساب فيكونون في الكثرة ويكون من شدة الخوف منتشرين هنا وهناك في ذلك وهوان وينقادون للداعي إلى النار فيتهافتون كتهافت الفراش إلى النار.[33]

والتشبيه الثاني:هو تشبيه الجبال بالعهن المنفوش في التطاير وخفة تناثرها، والمشبه مفرد مطلق والمشبه به مفرد مقيد وكلاهما حسيان أيضا مثل التشبيه الأول وقد ذكرت أداة التشبيه فهما من التشبيه المفرد الحسي غير البليغ ، ووجه الشبه في هذا التشبيه " تفرق الأجزاء لأن الجبال تدك بالزلازل ونحوها فتتفرق أجزاء" .[34]

المزايا البلاغية في هذا الأسلوب:

في تشبيه الناس بالفراش وهو مثل في الوهن والضعف إشارة إلى وهن الناس وضعفهم في ذلك اليوم الثقيل ، لأن الفراش لا يقدر على اتقاء نفسه حتى من الشيء الضعيف ، كذلك الناس يكونون ضعفاء يوم القيامة لا يستطيعون أن يفعلوا شيئا لأنفسهم ولا لغيرهم ، وفي تقييد الفراش بالبث إشارة إلى أن حركة الناس تكون بدون أي نظام لأجل الخوف من دهشة ذلك اليوم وهوله لأن البث لا يكون فيه تماسك ولا تكون فيه سيطرة على النفس، فكما لا تكون للفراش سيطرة على النفس بل هو تابع لأمر الغير فكذلك الناس تكون حركتهم غير تابعة لمشيئتهم بل تكون بدون نظام وفي تقييد العهن بالمنفوش إشارة إلى عظم قدرة الله تعالى لأن وصف التناثر

والتطاير يراعى في هذا التشبيه وصف الجبال وهو الثقل ولكن بقدرة الله تعالى تكون هذه الأجسام الثقيلة بهذا الوصف.[35]

وفي وصف الله تعالى نساء أهل الجنة وحسنهن فيقول: ﴿ **وَحُورٌ عِينٌ، كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ** ﴾ [الواقعة:22-23].

شبه القرآن الكريم الحور باللؤلؤ المكنون في الصفاء والنقاء والهدوء والصيانة.

فكل من الحور واللؤلؤ مفرد مقيد واللؤلؤ يدرك بإحدى الحواس الخمس في هذه الدنيا، وأما الحور فلا تدرك في هذه الدنيا ولكنها تدرك في الآخرة يراها أهل الجنة فكلاهما من الحسي وأداة التشبيه مذكورة فيه فهو من التشبيه غير البليغ. و وجه الشبه هنا هو الحسن وعدم المس،

ومن المزايا البلاغية في هذا الأسلوب ما يأتي:

في التشبيه باللؤلؤ إشارة إلى حسنهن لأن اللؤلؤ معروف بالحسن والصفاء.

ثم في التقييد بكونه مكنونا إشارة إلى عفافهن وعدم مسهن من طرف شخص آخر قبل صاحبهن وهذا وصف حسن في المرأة غاية الحسن لا يساويه وصف.

في هذا الأسلوب قد زيد كلمة " المثل" بكاف التشبيه مع أن " المثل" حقيقة في التشبيه فلو قال : أمثال اللؤلؤ المكنون لم يكن إلى الكاف حاجة.

ولكن استخدام كلمتي التشبيه تفيدان التأكيد والزيادة في التشبيه ففي هذا التشبيه من المبالغة ما ليست في كلمة التشبيه فقط.[36]

2.4 الاستعارة في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾ [يس:37].

استعير في الآية الكريمة " السلخ" وهو كشط الجلد عن الشاة ونحوها ؛لإزالة ضوء النهار عن الكون قليلا قليلا بجامع ما يترتب عن كل منهما من ظهور شيء كان خافيا ، فكشط الجلد يظهر لحم الشاة ، وبغروب الشَّمس تظهر الظلمة التي هي الأصل والنور طارئ عليها ، يسترها بضوئه ، وهذا التعبير من قبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

استعارة رائعة وجميلة، إنها بنظمها الفريد وبإيحائها وظلها ،وجرسها قد رسمت منظرا بديعا للضوء، وهو ينحسر عن الكون قليلا قليلا والظلام وهو يدب إليه ببطء.

إنها قد خلعت على الضوء والظلام الحياة، حتى صارا كأنهما جيشان يقتتلان، قد انهزم أحدهما فولى هاربا، وترك مكانه لآخر.[37]

قال تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير:18].

استعير في الآية الكريمة خروج النفس شيئا فشيئا لخروج النور من المشرق عند انشقاق الفجر قليلا قليلا بمعنى التَّنفس (تنفس بمعمى خروج النُّور من المشرق عند انشقاق الفجر).

هذه الاستعارة قد بلغت من الحسن أقصاه، وتربعت على عرش الجمال بنظمها الفريد، إنها قد خلعت على الصبح الحياة حتى لقد صار كائناً حيّاً يتنفس، بل إنسانا ذا عواطف وخلجات نفسية، تشرق الحياة بإشراق من ثغره المنفرج عن ابتسامة وديعة، وهو يتنفس بهدوء، فتتنفس معه الحياة ، ويدبّ النّشاط في الأحياء على وجه الأرض والسّماء.

تأمل اللفظة المستعارة وهي " تنفس" إنها بصوتها الجميل وظلها الظليل، وجرسها الساحر قد رسمت هذه الصورة البديعة في إطار نظم الآية المعجزة، فهل من ألفاظ اللغة العربية على كثرتها يؤدي ما أدته ، ويصور ما صورته؟[38].

قال تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر:94].

قال الرماني: " وحقيقته : بلغ ما تؤمر به، والاستعارة أبلغ من الحقيقة؛ لأن الصدع بالأمر لابد من تأثير كتأثير صدع الزّجاجة، والتبليغ قد يضعف حتى لا يكون له تأثير فيصير بمنزلة ما لم يقع، والمعنى الذي يجمعهما الإيصال إلاَّ أن الإيصال الذي له تأثير كصدع الزجاجة أبلغ "[39]

إنها استعارة رائعة وجميلة، تبرز لك ما أمر به الرسول –صلى الله عليه وسلم– في مادة يشق بها ويصدع، إنها تبرز لك المعنى المعقول في صورة حسية متحركة كأنك تراها بعينك وتلمسها بيدك.

تأمل اللفظة المستعارة "اصدع" إنها بصورتها وجرسها وإيحائها قد استقلت برسم هذه الصورة الفردية المؤثرة إذ إن من يقرأها يخيل إليه أنه يسمع حركة هذه المادة المصدوعة، تخيل لو استبدلت كلمة "اصدع" بكلمة "بلغ" ألا تحس أن عنصر التأثير قد تضاءل وأنّ الصورة الحية المتحركة قد اختفت وأن المعنى قد أصبح شاحبًا باهتًا.

قال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾[الكهف:99].

استعير في الآية الكريمة الموج "حركة الماء" للدفع الشّديد بجامع سرعة الاضطراب وتتابعه في الكثرة ثم اشتق من الموج بمعنى الدفع الشديد "يموج" بمعنى يدفع بشدة.

إن هذه الاستعارة القرآنية الرائعة تصور للخيال هذا الجمع الحاشد من الناس احتشاداً لا تدرك العين مداه حتى صار هذا الحشد الزاخر كبحر ترى العين منه ما تراه من البحر الزاخر من حركة وتموج واضطراب.

تأمل اللفظة المستعارة إنها في إطار نظم الآية المعجزة قد استقلت برسم هذا المشهد الفريد بصوتها وجرسها وإيحائها.[40]

3.4 الكناية في القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾[البقرة:223].

لقد كنّى القرآن في هذه الآية بكلمة " الحرث "عن المعاشرة الزوجية.

إن هذه الكناية الفردية مما انفرد به القرآن الكريم فهي لطيفة دقيقة راسمة ومصورة، مؤدية مهذبة، فيها من روعة التعبير وجمال التصوير ، وألوان الأدب والتهذيب ما لا يستقل به بيان، ولا يدركه إلاَّ من تذوق حلاوة القرآن إنها عبرت عن المعاشرة الزوجية التي من شأنها أن تتم في السّر والخفاء بالحرث وهذا نوع من الأدب رفيع وثيق الصّلة بالمعاشرة الزوجية، وتنطوي تحته معان كثيرة تحتاج في التعبير عنها إلى آلاف الكلمات.

انظر إلى ذلك التشابه بين صلة المزارع بحرثه، وصلة الزوجة في هذا المجال الخاص، وبين ذلك النبت الذي يخرجه الحرث، وذلك النبت الذي تخرجه الزوجة وما في كليهما من تكثير وعمران وفلاح، كل هذه الصّور والمعاني تنطوي تحت كلمة " الحرث " أليست هذه الكلمة معجزة بنظمها وتصورها؟

وهل في مفردات اللّغة العربية – على كثرتها – ما يقوم مقامها ويؤدي ما أدته ويصور ما صورته.

إن المعنى لا يتحقق إلاَّ بها، وعن التصوير لا يوجد بسواها.[41] **قال تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ ﴾**[الكهف:11].

يريد : أن لا إحساس بآذانهم من غير صمم.قال الرماني:" حقيقته : منعناهم الإحساس بآذانهم من غير صمم، والاستعارة أبلغ لأنه كالضرب على الكتاب فلا يقرأ، كذلك المنع من الإحساس فلا يحس. وإنما دلَّ على عدم الإحساس بالضرب على الآذان دون الضرب على الأبصار لأنه أدل على المراد من حيث كان قد يضرب على الأبصار من غير عمى فلا يبطل الإدراك رأساً، وذلك بتغميض الأجفان، وليس كذلك منع السّماع من غير صمم في الآذان، لأنه إذا ضرب عليها من غير صمم دلَّ على عدم الإحساس من كل جارحة يصح بها الإدراك، ولأنَّ الأذن لما كانت طريقا إلى الانتباه ثمَّ ضرب عليها لم يكن سبيل إليه"[42].

فانظر إلى الاستعارة الرّائعة في تعطيل حاسة السمع ومنع الأذنين من الإحساس دون صمم أو سبب عضوي.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[الأعراف:189].

فهذه كناية عن عظم قدرة الله تعالى؛ فالمراد بنفس واحدة آدم عليه السلام، فقد كنَّى الله تعالى بنفس واحدة عنه للتذكير بهذه الحالة العجيبة الدَّالة على عظم القدرة وسعة العلم.

ووصفت النّفس بواحدة على أسلوب الإدماج بين العبرة والموعظة، لأن كونها واحدة أدعى للاعتبار إذ ينسل من الواحدة أبناء كثيرون حتى ربما صارت النفس الواحدة قبيلة أو أمَّة، ففي هذا الوصف تذكير بهذه الحالة العجيبة الدّالة على عظم القدرة وسعة العلم حيث بثه من نفس واحدة رجالاً كثيراً ونساء.

ففي هذه الكناية إظهار لقدرة الله تعالى العظيمة لأن نسل الناس من نفس واحدة أمر عجيب حتى صاروا أقواما وقبائل كثيرة .

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾[الإسراء:29].

كنَّى القرآن الكريم في هذه الآية بغُلِّ اليد إلى العنق عن البخل، وبسطها كل البسط عن الإسراف.

ففي الكنايتين من روائع البيان ما لا يحيط به فكر إنسان، فيهما جمال في التعبير، وروعة في التصوير، وإيجاز وتأثير، وتنفير ، ألا ترى أنَّ التَّعبير عن البخل باليد المغلولة إلى العنق فيه تصوير محسوس لهذه الخصلة المذمومة في صورة بغيضة منفرة؟

فهذه اليد التي غُلَّت إلى العنق لا تستطيع أن تمتد، وهو بذلك يرسم صورة البخيل الذي لا تستطيع يده أن تمتد بإنفاق ولا عطية.

والتعبير " يبسطها كل البسط" يصور هذا المبذر بأنه لا يبقي من ماله شيئا كهذا الذي يبسط يده فلا يبقي بها شيئا.

وهكذا استطاعت الكناية أن تنقل المعنى قوياً ومؤثراً، ثمّ تأمل التلازم الوثيق الذي لا يتخلف أبداً بين التعبير والمعنى الكنائي لا يمكن تأديته وتصويره إلا بهذا التعبير، وأن هذا التعبير لا يصلح إلا لهذا المعنى، هل في مقدور البشر أن يحاكوا هذا الأسلوب؟[43]

5 خاتمة:

من خلال هذه الدراسة التطبيقية يمكننا استخلاص النتائج الآتية:

إن الإعجاز والمزايا البلاغية هي سرّ من أسرار الله تعالى في النظم القرآني.

والسرّ في إعجاز القرآن هو عجزنا أن ندرك ذلك السّر .لذا نرى كثيرا من الأقوال المختلفة في إعجاز القرآن ، وقد فصل فيها السّكاكي بقوله:«واعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن يدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة، ومدرك الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلاّ، وطريق اكتساب الذوق طول خدمة هذين العلمين، نعم البلاغة وجوه ملثمة ربما تيسرت إماطة اللّثام عنها لتجلي عليك،أما نفس وجه الإعجاز فلا »[44]

فالقرآن الكريم استخدم الأساليب البلاغية حسب مطابقتها لمقتضى الحال كما هي موجودة في كلام البشر ولكنها مختلفة تماما من كلام البشر للسياق والمقام؛ فأسلوب القرآن لا يساويه أسلوب النَّاس فجعل كل شيء في موضعه وهو يشتمل على المفردات المختارة والكلام المختار للمعنى بطريقة مختارة.

[1] ابن منظور،لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، ج8،ص 419.

[2] الجاحظ ،البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ،1423هـ، ج1، ص27.

3 السكاكي ،مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان ط2، 1987 ج1 ، ص181والقزويني جلال الدين، الإيضاح، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط3، دار الجيل، بيروت، ج1ص3-4.

4 القزويني ، المرجع نفسه ص3.

5 ابن الأثير ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي،بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ج1، ص26.

6 الخفاجي الحلبي ، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، ط1982،1،ج1،ص20.

7 العسكري أبو هلال، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت،1419هـ، ج1، ص1.

8 الأبشهي ،المستطرف في كل فن مستظرف، عالم الكتب، بيروت،ط1 ،1419هـ ،ج1، ص 38 ، 39.

9 الفراهيدي البصري، كتاب العين ، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال، ج1، ص215.

10مجمع اللغة العربية بالقاهرة المعجم الوسيط ، دار الدعوة، ص585.

11 ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق:صفوان عدنان الداودي، دار القلم،الدار الشامية، دمشق،بيروت، ط 2، 1412هـ، ص738.

12 الزركشي،البرهان في علوم القرآن، تحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم،ط1، ، 1957، ج2، ص91.

13 الشعراوي محمد متولي، معجزات القرآن، المختار للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب 1707،ط1، 1987،ج1، ص10.

14 ابن عاشور التونسي،، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر ، تونس ،1984، ج1، ص103.

15 السكاكي، المرجع السابق، ص281.

16 سيف الرحمن محبوب الله،الإعجاز البياني في ضوء النصوص القرآنية " رسالة دكتوراه" ، الجامعة القومية للغات الحديثة،إسلام آباد، 2008.

17 الزركشي، المرجع السابق، ص122.

18 الثعالبي أبو منصور، الإعجاز والإيجاز، مكتبة القرآن، القاهرة، ج1، ص2.

19 الجاحظ ، الحيوان ، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1424هـ، ص11.

20 الباقلاني، إعجاز القرآن ، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر ،ط3،ص 10.

21 السيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974،ج2، ص326.

22 الباقلاني، المرجع السابق ،ص262.

23 الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ج1، ص42.

24 الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1415هـ، ج21، ص17.

25 الباقلاني ، المرجع السابق، ص264.

26 حريز سامي محمد هشام، نظارات من الإعجاز البياني للقرآن الكريم-نظريا و تطبيقا- ، دار الشروق للتوزيع، ط1، 2006، ص27.

27 الباقلاني، المرجع السابق، ص264.

28 الطبري أبو جعفر (2000)، تفسير الطبري "جامع البيان في تأويل القرآن"، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1،2000، ج 24، ص139.

29 الألوسي، المرجع السابق، ص210.

30 ابن كثير أبو الفدا إسماعيل، تفسير القرآن العظيم،تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط1، 1419هـ، ج8، ص244، ابن عاشور ، المرجع السابق ، ص277.

31 الزمخشري،الكشاف (تفسير الزمخشري)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1983م،ص320.

32 ابن عاشور، المرجع السابق، ص373.

33 الرازي فخر الدين الخطيب (1420 هـ). مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط 3، 1420هـ، ج15، ص138.

34 حريز، المرجع السابق، ص79.

35 المرجع نفسه، ص80.

36 الباقلاني ، المرجع السابق، ص266.

37 حريز، المرجع السابق، ص81.

38 المرجع نفسه، ص81-82.

39 المرجع نفسه، ص82-83.

40 المرجع نفسه، ص84.

41 السكاكي، المرجع السابق ، ص181.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الأبشهي ،المستطرف في كل فن مستظرف، عالم الكتب، بيروت،ط1 ،1419هـ ،ج1.
2. ابن الأثير ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي،بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ج1، ص26.
3. ابن عاشور التونسي،، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر ، تونس ،1984، ج1.
4. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق:صفوان عدنان الداودي، دار القلم،الدار الشامية، دمشق،بيروت، ط 2، 1412هـ،
5. ابن كثير أبو الفدا إسماعيل، تفسير القرآن العظيم،تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط1، 1419هـ، ج8، ص244، ابن عاشور.
6. ابن منظور،لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، ج8
7. الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1415هـ، ج21.
8. الباقلاني، إعجاز القرآن ، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر ،ط3.
9. الثعالبي أبو منصور، الإعجاز والإيجاز، مكتبة القرآن، القاهرة، ج1

10. الجاحظ ، الحيوان ، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1424هـ.
11. الجاحظ ،البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423هـ، ج1
12. الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ج1،
13. حريز سامي محمد هشام، نظارات من الإعجاز البياني للقرآن الكريم–نظريا و تطبيقا– ، دار الشروق للتوزيع، ط1، 2006.
14. الخفاجي الحلبي ، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، ط1982،1،ج1.
15. الرازي فخر الدين الخطيب (1420 هـ)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط 3، 1420هـ، ج15.
16. الزركشي،البرهان في علوم القرآن، تحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم،ط1، ، 1957، ج2.
17. الزمخشري،الكشاف (تفسير الزمخشري)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1983م.
18. السكاكي ،مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان ط2، 1987 ج1.
19. سيف الرحمن محبوب الله،الإعجاز البياني في ضوء النصوص القرآنية " رسالة دكتوراه" ، الجامعة القومية للغات الحديثة،إسلام آباد، 2008.
20. السيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974،ج2.
21. الشعراوي محمد متولي، معجزات القرآن، المختار للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب 1707،ط1، 1987،ج1.
22. الطبري أبو جعفر (2000)، تفسير الطبري "جامع البيان في تأويل القرآن"، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط2000،1، ج 24.
23. العسكري أبو هلال، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت،1419هـ، ج1.
24. الفراهيدي البصري، كتاب العين ، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال، ج1
25. القزويني جلال الدين، الإيضاح، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط3، دار الجيل، بيروت، ج1
26. مجمع اللغة العربية بالقاهرة المعجم الوسيط ، دار الدعوة.